محطات من النضال المغاربي المشترك – جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية أنموذجا

أ.بلحاج سليمان
جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)
slimane.belhadj@univ-msila.dz

ملخص:

نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على أبرز محطات التطور و التغير التي عرفتها الحركات الاستقلالية المغاربية إبان الحرب العالمية الثانية ، حيث ظهر جليا التركيز على العمل الوحدوي من خلال عديد الأطر و اللجان ، بداية من جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية سنة 1944 ، و التي كان لها الدور الكبير في التعريف بقضايا التحرر و الاستقلال في بلدان الشمال الإفريقي ، و الدعوة الى توحيد جهود الكفاح ، و قد شكلت الجبهة محطة بارزة لجهود كثير من التونسيين و الجزائريين أمثال الفضيل الورثلاني و محمد الخضر حسين .

الكلمات المفتاحية : النضال المغاربي المشترك ، جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية ، الجامعة العربية ، مكتب المغرب العربي ، الفضيل الورثلاني.

Abstract:

In this study, we try to shed light on the most prominent stages of development that the Maghreb independence movements knew during the Second World War, where the focus on unitary work was evident through many committees, beginning with the North African Defense Front in 1944, which had The major role in publicizing the issues of liberation and independence in the countries of North Africa, and calling for unification of the efforts of the struggle, and the front

has formed a base factor for the efforts of many Tunisians and Algerians such as Fadel Al-Warthalani and Mohamed El-Khedr Hussein.

تمهيد:

يعد موضوع العلاقات المغاربية من الموضوعات الهامة التي حركت العديد من الاقلام في داخل أقطار المغرب العربي و من خارجه ، و ذلك لما جمع ويجمع ما بين الشعوب و الدول المغاربية من الصلات الحضارية و التاريخية العميقة ، حيث تجلت بوضوح في مظاهر التضامن و التآزر و التعاون لمواجهة الخطر المشترك و المتمثل في الاستعمار الأوروبي و خاصة الفرمسي منه .

لقد أدت ظاهرة الاستعمار الفرنسي إلى إدراك و تعميق الاحساس بالمصير المشترك بين البلدان و الشعوب المغاربية ، و تبلور النضال و العمل الوحدوي في الإطار المغاربي ، و من هذا المنطلق توقف العديد من الزعماء الوطنيين المغاربة في العديد من المحطات للتنسيق و التوفيق و حشد الجهود للتصدي للاستعمار و تحقيق الحرية و الانعتاق منه ، فكانت جهود على باش حمبة و عبد العزيز الثعالبي و محمد الخضر حسين و المدني احمد توفيق و الخطابي و الورثلاني الفضيل و بورقيبة و بن يوسف و غيرهم كثير ... ، نشطوا و نسقوا جهودهم تحت ضل العديد من المؤسسات و الجمعيات مثل جمعية طلبة شمال إفريقيا و لجنة جاليات شمال افريقيا ـــ و مكتب المغرب العربي ببرلين و جبهة الدفاع عن شمال افريقيا و مكتب المعرب العربي بالجامعة و غيرها .

تركز هذه الدراسة على واحدة من تجارب النضال المغاربي المشترك ، و التي أخذت طابعا وحدويا مغاربيا ، هي جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية و التي برع من خلالها التونسيون و الجزائريون و غيرهم على حد سواء في حشد الدعم السياسي و الدبلوماسي

للحركات الوطنية المغاربية ، و التعريف بقضايا الاستعمار التحرر فيها ، فما هي هذه الجبهة ؟ و لماذا تأسست ؟ و ما هي أهم نشاطاتها و أعمالها ؟

و قبل الحديث عن هذه الجبهة و أهم انجازاتها وجب علينا العودة للوقوف عند اهم محطات النضال المغاربي المشترك قبلها .

1– محطات النضال المغاربي المشترك ما بين 1920–1943: كثيرة هي الأعمال التي أرخت لتجارب النضال المغاربي في إطار مشروع وحدة المغرب العربي ، و يهمنا في هذا الدراسة الصغيرة الجوانب الايجابية لتجارب الوحدة و النضال بين الشعوب المغاربية ، وتوضيح أهمية بعدها المشترك على نضال الحركات الوطنية المغاربية .

لقد أنضجت النخب السياسية فكرة وحدة الكفاح في المغرب العربي مع بداية تبلور الحركات الوطنية المغاربية في أوائل القرن العشرين وتجمع كثير من المصادر أن رموز النخبة التونسية كانوا وراء الدعوة لوحدة المغرب العربي وخاصة منهم الإخوة باش حمبه، إذ أيد علي باش حمبه [1] فكرة الجامعة الإسلامية وتعاون مع الخلافة العثمانية في اسطنبول لتخليص المغرب العربي من الاستعمار، وكان أول زعيم فكر في ضرورة توحيد المغرب العربي في ميدان الكفاح ، وقد مد يده للمقاومين الجزائريين و اتصل أخوه برجال الحركة في مراكش [2] ، و أسس في برلين لجنة تسمى : " **اللجنة التونسية ــ الجزائرية** " عام **1917** متكونة من صالح الشريف ومحمد مزيان التلمساني ومحمد لخضر حسين ومحمد الشيبي التونسي ومحمد براز الجزائري وحمدان بن علي الجزائري [3] ومحمد باشا حمبة أرسلت برقية إلى الرئيس ولسون أثناء مروره بروما في الثاني من جانفي سنة **1918م** [4].

ومما جاء في هذه العريضة المطالبة بالاستقلال التام، وتحرير المغرب العربي ككل، معتبرة إياه جزءا لا يتجزأ من الخلافة الإسلامية, كما طالبت الوثيقة بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ونددت بالسياسة القمعية التي تنتهجها القوى الاستعمارية في حق الشعوب المغاربية، كما ناشدت الضمير العالمي ليعترف لها بحق التصرف بحرية في مصيرها ، فمن

خلال هذه الوثيقة يتبين لنا أن المغاربة كانوا دائما يؤكدون على الارتباط التاريخي بالمشرق حيث دارا لخلافة كتأكيد للبعد العربي والإسلامي استنفارا للأخوة الإسلامية، ولعل هذه الخطوة من قبل المغاربة لدليل واضح في تطور مسار النضال ظلت مقتصرة في بداياتها على نخبة من المغاربة الذين هاجروا إلى اسطنبول وتشبعوا بالثقافة الإسلامية. ومهما كان من أمر فإن الظروف التي واكبت فكرة وحدة المصير المشترك سواء في المهجر وبالضبط في إسطنبول، أو في المغرب بين شعوب ومناضلي الأقطار الثلاثة؛ فإن المتغيرات الدولية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وانهزام الدولة العثمانية كان لها دور كبير في تطور الوعي المغاربي للنضال المشترك وانتقاله إلى مرحلة وأفاق جديدة. فما هي أبرز معالمها ؟.

أدى انهزام الدولة العثمانية وحصول كثير من التغيرات السياسية المحلية والدولية إلى تجذر نضال النخب السياسية والتعويل أكثر على العمل الجماعي الموحد وقد انتقل نضال المغاربة من اسطنبول إلى فرنسا والعواصم الأوربية و العربية ، حيث أعطى ميلاد نجم شمال إفريقيا الدفعة الحقيقة لمشروع الوحدة المغاربية، وقد شارك التونسيون والمغربيون والجزائريون في تأسيس النجم عام **1926** بباريس ، وهو عبارة عن جمعية سياسية للدفاع عن المغاربة وتنسيق العمل المشترك بين مناضلي الأقطار الثلاث، وقد ساعد ظرف وجود جالية مغاربية نشيطة بفرنسا وانفتاحها على تيارات اليسار الفرنسي والحركات المناهضة للاستعمار في تعميق نضال النجم وتوسيع نشاطه وهكذا تناغم هذا التنظيم مع ثورة الريف ورسم أهداف ومطامح مغاربية واسعة [(5)].

وعلاوة على ذلك رعى النجم جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي كانت التجربة الرائدة في تطوير وتنسيق العمل المشترك وقد أكد هذا التنظيم الطلابي دفاعه المستميت عن الهوية المغاربية ومقومات شخصيتها التاريخية وغرس في النخب المثقفة الفكر الوطني– الوحدوي فأهلها لتكون قائدة للنضال الوطني وموجهة للعمل الوحدوي، وقد "قامت بدور بالغ الأهمية في إقامة علاقات صداقة شخصية بين طلاب المغرب العربي الذين كانوا

يدرسون في الجامعات الفرنسية والذين سيصبحون فيما بعد في كل من المغرب والجزائر وتونس[6] .

و تجدر الاشارة إلى تشكل جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية عام 1342هـ الموافق جوان 1924 م من جزائريين و تونسيين و مغربيين و ليبيين برئاسة الشيخ محمد الخضر حسين [7] ، تهتم بقضايا و شؤون الجالية المغاربية بمصر و ما جاورها و العمل على رفع مستوى الوعي الفكري و السياسي لديهم من خلال القاء المحاضرات و الخطب و الصحافة و نشاطات ثقافية عديدة منها تشكيل لجنة لنشر ثقافات و تاريخ الشعوب المغاربية [8] ، ووضع لها قانونا ، ضم توطئة وعشرين مادة ، وفي مادتها الأولى كتب « تألفت في مدينة القاهرة جمعية خيرية إصلاحية تسمى : " جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية : طرابلس، وتونس، والجزائر، ومراكش "، ومن مقاصدها وأهدافها الرئيسة ، تنوير أفكار أبناء هذه الأقطار، وبثّ الأخلاق الفاضلة بينهم والدفاع عن حقوقهم بالطرق الحكمية السليمة [9].

وقد استبشرت الصحافة المصرية الصادرة في ذلك الحين بتأسيس هذه الجمعية ، وما انبثق عنها من لجان ، حيث كتبت مجلة (**الزهراء**) للأستاذ **محبّ الدين الخطيب** « أسّست جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا في القاهرة لجنة لنشر آداب إفريقيا الشمالية العربية وحضارتها ، برئاسة الأستاذ السيد محمد الخضر التونسي ، للبحث عن الكتب التي تعرضت لهذا الموضوع ، وإلقاء المحاضرات فيه ، وترجمة ما ورد عن ذلك في الصحف والكتب الأجنبية، وقررت نشر ما يحرّره أعضاؤها في الزهراء » [10]

ومنذ نهاية عام **1942** أنشأ المناضلون التونسيون في برلين مكتبا للمغرب العربي بالتعاون مع أمين الحسيني ، وقام هذا المكتب بنشاط إعلامي ودعائي واسع هدف منه إلى "استقلال المغرب العربي ووحدته في نطاق الوحدة العربية [11] ، وقد أشرف هذا المكتب على تجنيد الجنود المغاربة في ألمانيا وإصدار جريدة المغرب العربي وتنقل مناضلوه بين العواصم الأوربية لنشر أفكارهم واستقروا مدة في باريس لتأطير الجالية المغاربية هناك

وتوعيتها بأهمية الوحدة وانتهاز الدعم الألماني لتحرير المغرب العربي ، وما لبث أن أنشأ المكتب فرعا له بباريس [12] .

غير أن تهور الأوضاع في اوروبا باتساع نطاق الحرب العالمية الثانية و انهزام ألمانيا وضع حدا لتلك الآمال العريضة ، و شل نشاط مكتب المغرب العربي في برلين ، واضطر المغاربي في برلين و باريس و منهم الرشيد إدريس ولحبيب ثامر ورفاقهم للجوء إلى اسبانيا ثم التوجه صوب القاهرة لمواصلة نضالهم من أجل مشروع تحرير ووحدة المغرب العربي في ظل العربة و الاسلام حيث انضموا إلى جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية ثم كونوا لكنة تحرير المغربي العربي في جامعة الدول العربية [13].

2– جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية – النشأة و الأهداف – : إن المتتبع لتطور العلاقات المغاربية بعد الحرب العالمية الأولى يلاحظ بوضوح ذلك التطور الذي ميز نشاط الحركات الوطنية التحررية في أقطار المغرب العربي ، من خلال تكثيف نشاطهم و اتصالاتهم فيما بينهم ، بهدف الاتفاق على صيغة مشتركة لتوحيد الجهود و النضال السياسي بينها ، فظهرت بعض المحاولات التي تدخل في هذا المسعى منها مكتب برلين و لجنة جاليات افريقيا الشمالية و غيرها [14] .

و ما يلاحظ أن هذا المسعى عرف تطور و تبلورا كبيرا في فترة الأربعينيات كنتيجة مباشرة للتغيرات الحاصلة على النظام الدولي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لعل أبرزها تراجع القوى الاستعمارية الكلاسيكية بعد ركوعها أمام ألمانيا النازية ، فكان أن حدث انتقال نوعي الى مرحلة جديدة لم تعد الأولوية فيها الى الدفاع عن الهوية و المطالبة بالإصلاح و حسب ، بل العمل من أجل التحرر و الاستقلال و استرجاع السيادة الوطنية بالأقطار المغاربية قبل كل شيء [15] ، و لعل تجارب مكتب المغرب العربي و جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية و جيش التحرير المغاربي تأتي في مقدمة هذه التجاب الأكثر تأثيرا و فعالية على مستوى الجهود الوطنية المغاربية الموحدة.

أولا – الفكرة و التأسيس : تشير أغلب الكتابات و المصادر التاريخية أن هذه الجبهة تأسست في نهاية الحرب العالمية الثانية برئاسة الشيخ "**محمد الخضر حسين**" شيخ الأزهر ، و "**الامير مختار الجزائري**" نائبا له ، "**الفضيل الورثلاني**" أمينا عاما لها [16] ، يوم **01** ربيع الأول عام **1364** هـ ، الموافق لـ: **18** فيفري **1944** حسب ما أورده الفضيل الورثلاني في كتابه الجزائر الثائرة [17] ، و اتخذت مقر جمعية الهداية الإسلامية مستقرا لها بالقاهرة [18] .

و تعود فكرة إنشاء و تأسيس هذه الهيئة حسب ناطقها و سكرتيرها العام " الفضيل الورثلاني "، إلى الاتصالات و اللقاءات التي جمعت مجموعة من شيوخ و أئمة المغرب العربي أمثال السيد محمد الخضر حسين ، و الدكتور عبد السلام الهادي ، و أحمد نجيب بك ، الشيخ إسماعيل علي ، و حسن بيرم و الشيخ فضيل الورثلاني و غيرهم [19] ، و بعد سلسلة من المفاوضات بين الحركات الوطنية الاستقلالية الثلاثة (حزب الشعب الجزائري ، حزب الاستقلال المغربي ، الحزب الدستوري الجديد التونسي) بهدف توحيد الصفوف و الرأي و الكفاح و لم الشمل و التعاون [20].

و انتهت اللقاءات و المفاوضات بعقد ميثاق بين كل الأطراف وقع عليه ممثلوها جاء فيه ما يلي : " ... **لما كانت شعوب شمال إفريقيا متجهة نحو وجهة واحد لمحاربة الاستعمار بجميع أنواعه و السير نحو الاستقلال ، و تثبيت السيادة الوطنية و العمل على وحدة الشمال الافريقي في دائرة جامعة الدول العربية ، رأى ممثلو الهيئات السياسية الموقعة على هذا أن يخرجوا هذه الوجهة المتحدة من حيز النظر و العاطفة إلى حيز العمل راجين من المولى عز و جل أن يسدد خطاهم** ..." [21] ، و اتفق الموثقون على عدم أي تعديل أو تغير على ما تم الاتفاق عليه في الميثاق إلا بعد استشارة الأطراف الأخرى و الحصول على رأيها و موافقتها [22] .

و تحدث الفضيل الورثلاني عن تأسيس هذه الجبهة في كتابه – **الجزائر الثائرة** – بقوله : " .. **تألفت هيئة عامة لجمع الشمل و توحيد الرأي و الكفاح و سميت جبهة الدفاع**

عن إفريقيا الشمالية تحت رئاسة العلامة الأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين الذي أصبح شيخا لجامع الأزهر فيما بعد ، و سكرتارية الأستاذ الفضيل الورثلاني و ضمت من جميع أقطار المغرب العربي و من جميع الهيئات و الأحزاب ." [23] حيث تشكلت من الأعضاء التالية اسمائهم :

أ– أعضاء المكتب و هم كالتالي :

– الشيخ محمد الخضر حسين ، عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية (**رئيسا** .

– الأمير مختار الجزائري ، من عائلة الأمير عبد القادر الجزائري ورئيس لجنة الدفاع العليا عن الجزائر (**نائبا للرئيس**).

–نجيب بك برادة ، عضو مجلس الشيوخ المصري (**نائبا للرئيس**).

–الأستاذ الفضيل الورتيلاني ، سكرتير لجنة الدفاع عن الجزائر (**سكرتير عام**).

–الأستاذ أحمد بن المليح (**سكرتير مساعد**).

–الأستاذ محسن مصطفى بيرم (**سكرتير مساعد**).

–السيد السعيد أفندي عمر فايد ، من كبار التجار (**أمين المال**).

–السيد أفندي السعدي ، من التجار (**سكرتير مالي**).

–السيد مصطفى بك بيرم ، مستشار بالمحكمة المختلطة سابقا (**مستشار**).

–السيد محمود بك الطوير(**مستشار**).

–الدكتور محمد عبد السلام العيادي (**مستشار**).

ب – الأعضاء المستشارين :

- الشيخ إسماعيل علي (**المدرس بمعهد القاهرة**) .
- الشيخ السعدي محمد (**المدرس بمعهد القاهرة**).
- الشيخ إبراهيم اطفيش الجزائري (**موظف بدار الكتب المصرية**)
- الحاج حسن التلمساني (**تاجر**) [24].

ثانيا – أهداف الجبهة و برنامج عملها : عملت الجبهة منذ الأيام الأولى لتأسيسيها على شرح و تبيين أهدافها من خلال قانونها و برنامجها الأساسي ، حيث تهدف هذه الجمعية إلى استقلال بلدان المغرب العربي من سلطة الاستعمار الفرنسي، والانضمام إلى جامعة الدول العربية. وقد شرحت هدفها الأساسي في بيانها الأول الذي قالت فيه أن الجبهة جاءت للرد على السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى مسخ هوية المغاربة: " زادت الوطنيين حماسة لقضيتهم، وقوى اتجاههم إلى العمل لتحرير أوطانهم. وقد عرف صدق عزيمتهم جاليات في مصر من أبناء تلك البلاد، فأنشأوا جبهة تدعى "**جبهة الدفاع عن إفريقية الشمالية**" لتكون عونا لتلك الشعوب على بسط قضيتهم للعالم الإسلامي، وتتولى الدفاع عنها بيقظة وحزم، وتعمل لهز العواطف النبيلة في نفوس الأمم الإسلامية، حتى يشدوا أزرنا في العمل لتحرير وإسعاد خمسة وعشرين مليونا من العرب والمسلمين، وإنقاذهم من الاندماج في الجنسية الفرنسية، وانقلابهم إلى الديانة النصرانية، وهما الغرضان اللذان تعمل لهما فرنسا ليلها ونهارها " [25] و يمكن استخلاص أهداف الجبهة فيما يلي :

1– مواجهة و مقارعة ظاهرة الاستعمار الأوروبي في المغرب العربي ، و العمل على تحقيق الاستقلال التام لكامل الأقطار المغاربية ، و الذي أصبح السمة الرئيسة للمطالب الوطنية خلال هذه الفترة .

2– العمل على توحيد الجهود و الصفوف المغاربية ، و بث روح التكافل المغاربية من خلال الدعوة لتنظيم جاليات المغرب العربي المقيمة بمصر خاصة و المشرق عامة في جبهة قوية و واحدة ، و ربط و تنسيق الاتصالات و الجهود بين مختلف الأقطار المغرب العربي و التعريف بقضايا التحرر فيها في الوطن العربي و الاسلامي و المحافل و الهيئات العالمية[26].

3– تمثيل الدول المغاربية في الخارج و الدفاع عنها من خلال تقديم المذكرات و رفع الاحتجاجات و تنوير الأذهان و العقول بالخطب ، و العمل على رفع المستوى الفكري و السياسي من خلال القاء المحاضرات و نشر المقالات و مختلف الأنشطة الثقافية الأخرى ، و العمل على الاتصال بالهيئات و الشخصيات ، و متابعة نشاط الوطنيين داخل الاقطار المغاربية و مساندته و التعريف به و إذاعته في الصحافة المشرقية [27].

و أشار الفضيل الورثلاني في كتابه " **الجزائر الثائرة** " إلى الخطوط الأساسية لعمل الجبهة من خلال خطابات نائب رئيسها مختار الجزائري و التي شرح فيها الأغراض و الأهداف التي عمدت الجبهة إلى إبرازها من خلال قانونها الأساسي و الذي يتضمن ما يلي:

المادة الأولى : في يوم أول ربيع الأول سنة **1364** هـ الموافق لـ **18** فبراير **1944** ميلادية تألفت هيئة في القاهرة تسمى (جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية) .

المادة الثانية : أغراض الجبهة تتمثل في :

– السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية و استقلال شعوب شمال افريقيا (تونس ، الجزائر ، مراكش). – السعي لضم هذه الشعوب الى جامعة الدول العربية .

المادة الثالثة : دستور الجبهة (التضامن و تحرير العصبيات) .

المادة الرابعة : تعتمد الجبهة في تحقيق أغراضها على كافة الوسائل والطرق المشروعة كإنشاء الصحف و النوادي و ايجاد مناصرين و جماهير لها في مصر و خارجها [28].

3– نشاط جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية : هدفت جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية كما سبق و ذكرنا الى تحقيق الاستقلال التام و الكامل لكل الاقطار المغاربية و لأجل ذلك عمد أعضائها إلى انتهاج استراتيجية و سياسة نضالية تركزت على مجموعة من النقاط أبرزها : السعي لإقامة و توثيق الوحدة المغاربية ببعديها الاقليمي العربي و الاسلامي ، و التحرك للتعريف بقضايا التحرر و الاستعمار في المغب العربي و العمل على تدويلها ، و اعتمدت الجبهة لتحقيق ذلك في حدود الوسائل المتاحة و المتوفرة عن طريق الصحافة المصرية و المشرقية أبرزها جريدة النذير في القاهرة و التي كانت تنشر بياناتها التضامنية الداعية لوحدة المغرب العربي [29] ، و ارسال التقارير و النشرات الاعلامية و توجيه النداءات و الرسائل الى مختلف المنظمات و المؤسسات الاقليمية و العالمية (الجامعة العربية و الأمم المتحدة) ، و الدول و الشخصيات التحررية و السياسية البارزة و عقد الصلات مع الجمعيات المصرية التي تعمل في نفس المجال [30] و يمكن تلخيص نشاط الجبهة في :

أ– السعي إلى إقامة و تفعيل الوحدة المغاربية و العربية : لم تدخر جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية أي جهد لدعم الوحدة المغاربية و العربية ، حيث ما فتأت في مختلف رسائلها و نداءاتها و التظاهرات التي تنظمها على التأكيد على أهمية وحدة الأقطار المغاربية في إطارها الاقليمي المغاربي و العربي الاسلامي ، مع التركيز على خصوصيات الاقطار المغاربية التي تعاني من الاستعمار الأوروبي و المصير و التاريخ المشترك ، و هو ما عبر عنه أحد أعضاء الجبهة و هو الفضيل الورثلاني بقوله : " **اتحاد أقطار المغرب العربي في دولة واحدة مقدس يسعى إليه كل عربي** " [31].

لقد عملت الجبهة منذ انشائها التركيز على اقامة الوحدة المغاربية فعلا لا قولا و لهذا نجد انها نسقت مع زعامات الحركات المغاربية و تقربت من الاحزاب الوطنية المغاربية ، و هو ما يؤكده رئيسها الذي كتب : " و ها هي الجبهة تعمل لتحرير تونس و الجزائر و مراكش تحريرا لا يبقى لأجنبي عليها سبيل ، ... و هي حريصة على ان تتصل بزعماء

الأحزاب القائمة في تلك البلاد.. " [32] ، و نشير هنا إلى ان هذه الاحزاب قد صادقت على ميثاق الجبهة و التي جاء في مقدمته : " **عندما كانت شعوب شمال افريقيا متجهة نحو جهة واحدة لمحاربة الاستعمار بكل انواعه و السير نحو الاستقلال و تثبيت السيادة ، فالمتوقع هذه الوجهة المتحدة من حيز النظر و العاطفة إلى حيز العمل** " [33].

و إلى جانب سعيها الحثيث التنسيق مع الأحزاب الوطنية المغاربية فتحت جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية أحضانها لاستقبال الزعامات التحررية المغاربية الذين كانوا يسعون إلى ما تسعى إليه الجبهة ، فاستقبلت الحبيب برقيبة و رشيد ادريس و الحبيب ثامر [34] و عبد الكريم الخطابي و علال الفاسي بالقاهرة ، و يوسف الرويسي بسوريا [35] ، و ما زاد في تأكيد سعي الجبهة في وحدة المغرب العربي أن انضمت اليها ' **رابطة الدفاع عن مراكش** ' ، و جموع غفيرة من الطلبة المغاربة المتواجدين في القاهرة أمثال عبد الكريم بن ثابت و عبد المجيد بن جلون و أحمد بن مليح و عبد الكريم غلاب و العربي بناني و غيرهم كثير [36] .

و يبدو ان هذا الأمر ازعج الاستعمار الفرنسي بحيث لجأت للدعاية و التقليل من اهمية الجبهة و عملها و التشكيك في احد قادتها ، حيث كتب " موريس فيرو" مقالا في جريدة لوموند حي قال ان جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية تضاعف من مناوراتها و مساعيها في المشوق العربي ، و أنها جبهة ثلاثية ..." و أضاف قائلا : " الفضيل الورثيلاني سكرتي الجبهة ليس عربيا ، بل من أبناء القبائل و هو يعارض بكل قواه سيطرة العنصر العربي في بلاد المغرب العربي " ، و تصدى له الورثلاني بمقال في جريدة الاخوان بتاريخ **12** أكتوبر **1946** **بعنوان " سيتحد أبناء افريقيا الشمالية رغم انوف المستعمرين** " حيث تحدث فيه : " إن المغرب العربي بجميع أقطاره قد خلقه الله وحدة كاملة و أتم الله نعمة هذه الوحدة بجمعه على دين واحد و لغة واحدة و ظلم واحد هو ظلم فرنسا الاستعمارية " [37].

لقد ركز الورثلاني في رده بهذا المقال على الانتماء الجغرافي و الحضاري و التاريخي لبلدان المغرب العربي للعالمين العربي و الاسلامي و هو ما حاولت الجبهة تأكيده عليه في مراسلاتها و نداءاتها و حتى ميثاقها ، حيث لم تخل و لا رسالة و لا نداء للجامعة او غيرها من الهيئات و الشخصيات ، أو عديد المداخلات و المقالات إلا و ركزت على انتماء شعوب المغربي الى العالمين العربي و الاسلامي ففي رسالة وجهها رئيس الجبهة للملك عبد العزيز آل سعود لدى زيارته لمصر أكد من خلالها على عروبة المغرب العربي و الخطر الذي يحوم حول هذه العروبة جراء سياسة الاستعمار الرامية إلى فرنسة شعوبها (38) ، جاء فيها : " **و لجبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية كبير الأمل في أن جلالتكم تولون قضية تونس و الجزائر و مراكش و طرابلس برعاية و تبذلون ما استطعتم من المساعدة على انقاذها من الاستعمار الفرنسي الذي يعمل لإذلال أهلها ، و فصلهم عن القومية العربية و ادماجهم في الجنسية و الثقافة الفرنسية**" (39).

و في مقتطف رسالة أخرى وجهتها الجبهة لمنظمة الأمم المتحدة في مؤتمرها التأسيسي أكدت من خلالها على الوحدة العربية جاء ما يلي : " **لا يمكن ان تكون الوحدة العربية إلا اذا بقيت فلسطين عربية ، و طرابلس الكبرى عربية حكومة وشعبا** "(40).

ب – التعريف بقضايا التحرر و الاستعمار بالمغرب العربي و تدويلها في المحافل الهيئات الدولية : إن اهم دور و خدمة قدمتها جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية لقضايا التحرر المغاربية هو سعيها الحثيث للتعريف بها و تدويلها من خلال منابر جامعة الدول المغاربية او هيئة الأمم المتحدة و النشاط الدبلوماسي على صعيد الدول العربية و حتى الدول الكبرى من خلال تسطير برنامج عمل يراعي خصوصيات أقطار المغرب العربي عامة و مطالبها ، فتحركت الجبهة على صعيد الجامعة العربية تحركا نشطا و كثيفا نلخصه في النقاط التالية :

– و جهت الجبهة مذكرة إلى مؤتمر الجامعة العربية الأول طالبة من المؤتمرين الاعتناء بالقضية المغاربية و دعت الجبهة فيها على ضرورة تعيين طائفة من أبناء شمال افريقيا و من

أعضائها في ادارة الجامعة و لجانها و مكتبي لندن و واشنطن [41] ، و هو ما كان لها بأن انتخب أربعة أعضاء منها كأعضاء ممثلين عنها و مستشارين في الجامعة العربية و يتعلق الأمر بكل من فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين و الأستاذ الفضيل الورتيلاني ، الأستاذ نجيب بك برادة و الدكتور محمد عبد السلام العيادي [42].

– كما أرسلت الجبهة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية مذكرة بشأن الاعتداءات الاستعمارية الفرنسية التي تتعرض لها شعوب المغرب العربي و مما جاء فيها : " **حضرة صاحب السعادة عبد الرحمان باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية تحية و احترام و بعد : ترجو جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية من سعادتكم عرض هذه المذكرة الوجيزة على مؤتمر الجامعة الموقرة و لنا كبير الأمل أن تحظى من أقطاره البعيدة المدى بعناية إضافية ، و هي أن شعوب إفريقيا الشمالية العربية (تونس–الجزائر–مراكش) طالما ضاقت من الاحتلال الفرنسي ألوانا من الاعتداء على الأنفس و الأعراض و الدين و الأموال ..** " [43].

– حاولت الجبهة كذلك الاتصال بالدول العربية و زعمائها عن طريق مندوبي هاته الدول في الجامعة او عن طريق المذكرات و الرسائل مثل الرسالة التي وجهتها الى الملك عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية جاء في افتتاحيتها " **إن فرنسا ـ يا صاحب الجلالة ـ هجمت على بلاد الجزائر منذ مئة وسبعة عشر سنة ، ودافعها أهلها بحروب نظامية استمرت نحو سبع عشرة سنة ، ولما تغلبت عليهم بكثرة الجند ووفرة السلاح بسطت عليهم سلطانها ، وانتزعت منهم جميع حقوقهم الحيوية والسياسية ، بل اعتبرت ذلك القطر قطعة من فرنسا** " ، و نداء إلى كل من سلطان المغرب الأقصى ، وملك شرق الأردن.

و في إطار سعيها لكسب ود الشعوب العربية و تعاطفهم سيرت الجبهة وفدا بقيادة أمينها الفضيل الورثلاني إلى سوريا و لبنان في جويلية 1946 ، لاثارة الرأي العار فيها عن المغرب العربي بواسطة المحاضرات و الصحافة و الاتصال بذوي الرأي و رجال الحكم و

النواب و الزعماء و الهيئات ، و من هذه المحاضرات تلك التي قدمها في دار الإخوان بدمشق رفقة مصطفى السباعي ، و الأمير مختار الجزائري ، الأمير سعيد الجزائري ، و زين العابدين التونسي و المكي الكتاني من المغرب الأقصى (44).

و نشير هنا إلى أن الجبهة كانت قد أوفدت يوسف الرويسي من اجل مواصل النضال ، حيث استقبل من طرف الرئيس السوري شكري القوتلي الذي عبر له عن تضامنه مع وحدة النضال المغاربي و أكد دعمه و تأييد حركته التحررية بقوله " إن قضية المغرب العربي هي قضيتنا و ما يهم أهل المغرب يهمنا و إذا كتب لي أن يكون مسقط رأسي سوريا فلا يعني ذلك أوليتكم عني في النضال في سبيل المغرب و سيادته .." (45).

و لم يتوقف نشاط الجبهة عند هذا الحد في ميدان النشاط المرتبط بالاستقلال و التعاون بين الاقطار المغاربية و التعريف بها سياسيا على المستوى العربي ، بل تعداه الى المستوى الدولي العالمي ففي مذكرة وجهتها إلى هيئة الأمم المتحدة جاء فيها : " **أنه من واجب الدول و الهيئات لحريصة على نشر السلام العالمي أن تساعد على انقاذ الشعوب المغاربية من مخالب الاستعمار .. و تعمل على تحرير ثلاثين مليون من العرب المعروفين بالوفاء بالعهد ... فمساعدتكم هي الوسيلة الوحيدة لانضمامهم إلى الدول التي تعمل على السلام العام**" (46).

كما أصدرت الجبهة بيانا تضامنيا مع المغرب الأقصى إثر الممارسات العنصرية فيه الناتجة عن سياسة الظهير البربري ، و أرسلت نسخة منه الى حكومة بريطانيا و روسيا و الصين و جامعة الدول العربية ، و نشير كذلك إلى البرقية التي أرسلت إلى كل وزراء خارجية الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ، عام 1364 الموافق 1945 (47).

4– تقييم أداء و نشاط الجبهة و تشكيلها : لا يجحد إلا جاحد أو متعصب الدور الطلائعي الكبير و الهام الذي لعبته جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية في رعاية و انجاز مشروع الوحدة النضالية المغاربية ، بصفتها مؤسسة مثلت مختلف تيارات الحركات الوطنية

المغاربية ، و بصفتها إطارا شكل امتدادا دوليا للكفاح الوطني داخل و خارج أقطار المغرب العربي لمناهضة الاستعمار الاوروبي فيها ، حيث قادت نشاطا دبلوماسيا و سياسيا لتوثيق الصلات و توحيد و تنسيق الجهود على مستوى الحركات الوطنية المغاربية ، وحاولت قدر المستطاع اعطاء بعد دولي لقضايا الاستعمار و التحرر في المنطقة ، و حشد الدعم الدبلوماسي و السياسي لها ، و لنا هنا أن نتساءل عن سر هذا النجاح الكبير الذي حققته هذه الهيئة ؟ (في ظل الظروف التي ظهرت فيها و في حدود الإمكانيات المادية و البشرية الي كانت تتمتع بها) ، و لنا أن نتساءل أيضا عن أسباب انحسار عملها في الجانب السياسي الخارجي و عدم تنويعه و توسيعه ليكون جامعا حتى داخل الأقطار المغاربية ؟.

و ما يمكن أن نجيب عليه أن جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية كتجربة و محاولة تحررية قد اكتسبت مجموعة من السمات و الخصائص جعلتها تنفرد عن باقي التجارب و المؤسسات و الأطر التي سبقتها في ذات الهدف و هو اقامة الوحدة و النضال المغاربي المشترك ، و لهذا سنحاول تحليل النشاط و التركيبة العضوية البشرية للجبهة و تقييمها .

أ– مواطن القوة في جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية و نشاطها :

1– وحدة و انسجام التركيبة العضوية البشرية للجبهة : يعتبر عامل الانسجام و التلاحم للعناصر و الأعضاء في أي تنظيم حزبي أو جمعوي و غيرها من تنظيمات الضغط الجماهيرية عاملا رئيسا و أساسيا لنجاحها و الوصول الى غايتها و اهدفها و تسطير برنامجها ، و لا يكون هذا الانسجام إلا بحصول التوافق الفكري و المذهبي بين الأعضاء ، أو الالتقاء لخدمة قضية أو غاية واحدة ، ثم التوافق في طرق و وسائل النشاط و النضال .

و مما يكمن قوله أن جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية كانت موحدة إلى حد بعيد على المستوى الفكري و المذهبي (خاصة في بداية تأسيسها) ، و ذلك بسبب وحدة

المصير و الظروف المعاشة بين كل أعضائها و عناصرها ، و مواجهتهم لاستعمار واحد (الاستعمار الأوروبي) ، و اشتراكهم في نفس الهدف و هو العمل على تحقيق الاستقلال لكل الاقطار المغاربية ، و يبدو أن هذا الهدف كان اهم حافز و عامل للاتقاء و التوافق دون النظر و الالتفات إلى مظاهر الاختلاف و التضاد ، حيث كان بمثابة الشجرة التي غطت مسألة طبيعة المجتمع الذي يناضلون من أجله رغم الاختلاف و الثراء الاجتماعي الثقافي له ، و اكتفوا بالعروبة و الاسلام كطابع أساسي للمغرب العربي و في هذا الإطار كثيرا مكان الشيخ محمد الخضر حسين يردد : " **أنا جزائري بالأصل تونسي بالمولد مغربي بروحي... وان سألت عن حق أصلي أنا مغاربي عربي مسلم** " [48].

و مما زاد في انسجام التركيبة البشرية للجبهة هو الوحدة النفسية و الثقافية ، حيث تميز جل الأعضاء بثقافة إعلامية عربية عصرية ، و تجربة سياسية جمعوية انطلاقا من التجارب السابقة التي خاضوها في إطار مكتب برلين أو جبهة جاليات إفريقيا الشمالية و غيرها من التجارب ، كل هذا مكنهم من العمل الفعال في بيئة سياسية تلائم تكوينهم و عقليتهم ، فأغلبهم خريجو المعاهد و الجامعات على غرار جامع الزيتونة و الازهر و جامع القرويين في فاس و غيرها ، و مما زاد كذلك في قوة و فاعلية النشاط هو انسجام التركيبة العمرية حيث نجد تنوعا و انسجاما في أعمار أعضاء الهئية ما بين الشباب الطموح مثل الفضيل الورثلاني و الخبرة مثل الشيخ محمد الخضر حسين ، و يضاف الى كل هذا عامل تركز القيادة في عدد قليل من الاعضاء سهل عملية جمع الكلمة و سرعة التصرف.

لا يمكن فهم التحام أعضاء جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية بالقاهرة دون التطرق إلى الظروف و البيئة التي عملوا فيها ، بل حتى انها ساهمت في تكوينهم سياسيا ، فقد كانت القاهرة مركز و منطلق عمل الجبهة أبرز و أكبر عاصمة عربية (بالرغم من وجود نظام الحماية البريطانية) ، كما أن تأسيس الجبهة تزامن و ظهور الجامعة العربية مارس 1945 ، و انحسار نظام الانتداب البريطاني في كل من سوريا و لبنان [49] ، زد على ذلك فقد ظهرت الجبهة في ظل ظروف عالمية صعبة و ايجابية في نفس الوقت ، فقد

تأسست في نهاية الحرب العالمية الثانية و ما حملته من نتائج و تغيرات على مستوى النظام العالمي ، ببداية انحسار القوى الاستعمارية الكلاسيكية و انتقال الزعامة من غرب اوروبا إلى الوم أ و الاتحاد السوفياتي ، و تصاعد ظاهرة المد التحرري و ظهور المنظمات العالمية الراعية و الداعمة لحقوق الشعب في تقرير مصيرها (50) ، كل هذه الظروف و المتغيرات و المؤسسات كانت دعما و سندا للجبهة بأن رفعت من سقف طموحاتها ، و ارتقت بنشاطها على المستوى الاقليمي العربي و الدولي ، بحيث حاولت وفق الامكانيات المتاحة للتعريف بواقع الاستعمار في بلدان المغرب العربي ، و بقضايا التحرر فيها ، في مختلف المحافل الدولية و المنظمات الاقليمية و العالمية .

و تجدر الإشارة إلى التأثيرات الثقافية التي تعرض لها أعضاء الجبهة في القاهرة ، حيث كانت تتميز هذه الأخيرة بحركة ثقافية و فكرية واسعة النطاق ، و متعددة الميادين كالآداب و الفكر أمثال طه حسين و العقاد و احمد أمين سعد زغلول و أحمد السيد لطفي ، و القانون أمثال عبد الرزاق السنهوري (51) ، و رجال الدين و الاصلاح آنذاك ممثلين في حركة الإخوان و زعيمهم حسن البنا (الذي كان على اتصال وثيق برشيد رضا تلميذ محمد عبده) (52) ، و المرتبط بمحاربة الاستعمار الأوروبي في الأقطار العربية ، و بدون أي شك فقد كان أعضاء على اتصال وثيق بهاته الشخصيات و عرضة لهذه التأثيرات الفكرية .

كما ننوه إلى عامل عام مهم تمثل في اشتراك الأعضاء في مرجعية و خلفية دينية و تاريخية و ثقافية و احدة ، فلطالما ظلت مرجعيات الحركة الوطنية تعتمد إلى حد كبير على عامل الدين طيلة فترة الاستعمار ، اضافة إلى عامل اللغة و المصير المشترك (53).

2– قوة و اتساع العمل السياسي و الدبلوماسي : شكل النشاط السياسي و الدبلوماسي الذي قامت به جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية في القاهرة و خارجها ، عملا مشتركا و منسقا تنسيقا محكما سواء على مستوى التخطيط أو التنفيذ ، بواسطة مجموعة من الأعضاء شكلوا هيئتها الإدارية التنفيذية ، أبرزهم رئيسها : " **محمد الخضر حسين** " و

نائبه " **الأمير مختار الجزائري** " و كاتبها العام " **الفضيل الورثلاني** " ، و يمكن حصر خصائص و نقاط القوة في هذا النشاط في ما يلي :

- تركز النشاط الدبلوماسي و السياسي على الصعيد الاقليمي العربي بواسطة جامعة الدول العربية للتعريف بالقضايا الوطنية المغاربية ، و ذلك عن طريق قنوات الاتصال المتمثلة في مندوبي الجبهة في الجامعة ، أو عن طريق البرقيات و الرسائل و النداءات التي كانت تركز على الأوضاع التي تعيشها شعوب منطقة افريقيا الشمالية من قهر و ظلم ، و كمثال عن ذلك بعثت الى الأمين العام للجامعة و الدول العربية (عن طريق مندوبيها في الجامعة) بشأن المجازر التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري في 8 ماي 1945 .

- إن ما يحسب للجبهة أنها لم تكتفي في نشاطها بالصعيد العربي بل تجاوزته إلى الصعيد العالمي بأن حولت تدويل قضايا المغرب العربي في هيئة الأمم المتحدة منذ مؤتمرها التأسيسي في سان فرانسيسكو أكتوبر 1945 ، إضافة إلى اتصالها بأكبر الدول آنذلك و المشكلة لمجلس الأمن الدولي الدائم الاتحاد السوفياتي و الصين و أمريكا و بريطانيا و فرنسا [(54)] ، و محاولة اتصالها بعديد الشخصيات العالمية .

- تعتبر جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية رغم الظروف و البيئة الصعبة التي ظهرت فيها قلعة جامعة لأحرار المغرب العربي حيث احتضنت عديد الشخصيات الوطنية المغاربية أمثال الحبيب بورقيبة و علال الفاسي و عبد الكريم الخطابي ، يوسف الرويسي و ادريس رشيد و حسين تريكي و الحبيب ثامر و غيرهم كثير ، حيث كانت الجبهة تحظى بأهمية و مكانة كبيرة و سمعة طيبة تجاوزت حدود مصر و المشرق و لعل ذلك يعود إلى طبيعة البرنامج و الأهداف التي رسمتها ، بالإضافة إلى القيمة الثابتة لأعضائها الذين يتمتعون بمكانة علمية و ثقافية كبيرة و طيبة (سيصبح رئيسها شيخا للأزهر فيما بعد) ، كما لا يمكن ان نتناسى

تجاربهم السابقة و الكثيرة في ميدان النضال و الوحدة جعلهم محط ثقة الكثير من الزعامات على أساس النضال و التعامل المشترك .

3–التأسيس للعمل الوحدوي و النضال المغاربي المشترك : شكلت تجربة جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية في حقيقة الأمر أول محاولة واقعية و تطبيقية للوحدة النضالية المغاربية ، و لا ننكر بتاتا أن الجبهة استفادت كثيرا من التطورات و التغيرات التي عرفها الوطن العربي بعد الحرب العالمية الأولى ، أبرزها حركة التنقل و الهجرة الواسعة للبعثات الثقافية و السياسية المغاربية الى المشرق ، و ظهور عديد التجارب الهادفة الى العمل الوحدوي .

كانت جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية أول تنظيم مغاربي مشترك يطالب و يعمل من أجل تحقيق الاستقلال التام و الشامل للمغرب العربي ، و لا أدل على ذلك البلاغات و النداءات و الرسائل التي لا طالما كانت تركز على ضرورة استقلال الأقطار المغاربية انطلاقا من الجامعة العربية و السعي لدى الدول العربية المستقلة ، و وصولا لهيئة الأمم المتحدة و حتى الاتصال بالدول الكبرى (55) .

4– الاعتراف العربي و الدولي بالجبهة كممثل عن الأقطار المغاربية في المهجر : شكل الاعتراف الدولي و العربي بجبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية بالقاهرة و بأعضائها كممثلين عن الحركات الوطنية المغاربية ، سمة فريدة منحت الجبهة صفة الشرعية **– إلى حد ما –**، و هذا ما زاد في وزنها و ثقلها و لعل ذلك يظهر من خلال اعتراف الجامعة بها و تعاملها معها كممثل عن المغرب العربي بحيث نجد انتخاب أربعة من اعضاء الجبهة بإجماع كمثلين و مستشارين في الجامعة ، فأصبحت الجبهة عبارة عن قناة اتصال بين المغرب العربي و الجامعة ، تستعين بها هذه الأخيرة للتعرف عن أحوال المنطقة و شعوبها و تاريخهم(56).

و خدمة لهذا الهدف السابق (بعد انتخاب و تعيين ممثيلها في الجامعة) و تسهيلا و زيادة فعالية العمل اقترحت الجبهة على الجامعة عن طريق رسالة بعد اجتماع مجلس مكتبها (57) إنشاء مكتب لإدارة الشؤون بإفريقيا الشمالية (58) ، و غير بعيد عن تاريخ

الرسالة تنشأ الجامعة مكتب المغرب العربي بالتعاون مع بعض الوطنيين المغاربة ممن كانت الجبهة حاضنة لهم أهم الحبيب ثامر و بورقيبة و الخطابي و علال الفاسي و ادريس رشيد و يوسف الرويسي و غيرهم .

5– حيوية النشاط الاعلامي الصحفي و الثقافي : لم تكتفي جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية بالنشاط السياسي و الدبلوماسي بل حاولت تنوعه إلى العمل الصحفي الإعلامي من خلال التركيز على البلاغات و النشر في مختلف الصحف و الندوات ، و اقامة الانشطة القافية المتنوعة مثل اقامة حفلات و محاضرات و غيرها .

فقد شكلت الصحف العربية عامة و المصرية بالخصوص أداة إعلامية هامة استغلها أعضاء جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية بالقاهرة و خارجها استغلالا كاملا و فعالا لنقل الأوضاع التي يعيشها المغرب العربي في ظل الاستعمار الأوربي ، و التعريف بتاريخ المغربي العربي و عاداته و تقاليده على انه جزء لا يتجزأ من الوطن العربي و الاسلامي ، و تتصدر هذه الجرائد و الصحف جريدة " **الاخوان المسلمون**" و " **الهداية الاسلامية** " و " **النذير**" و " **جريدة المصري** " و " **دعوة الحق** " و " **مصر الفتاة** " و غيرها من الجرائد.

كما كانت هذه الجرائد تهتم بتغطية أخبار و نشاطات الجبهة و غيرهم من الوطنيين المغاربة في مصر و المشرق و تقدم لهم الدعم الاعلامي و الدعائي .

و لنا هنا ان نتساءل عن سبب اهتمام و تفاعل الصحف و الجرائد العربية و المصرية بقضايا المغاربة و نشاط الجبهة :

أولا : أن الوطنيين المغاربة ركزوا في كتاباتهم و نداءاتهم و بلاغاتهم على اعتبار قضية استعمار بلدانهم جزءا من القضية العربية في ظل تزايد الشعور القومي العربي ، فاعتمدوا أسلوبا يفهمه القارئ المصري و العربي و يتعاطف معه .

ثانيا : كان للدعم السياسي الرسمي و غير الرسمي و غير الحكومي الذي تلقته جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية بدءا من جامعة الدول العربية و الأنظمة العربية المستقلة آنذاك التي كانت تساند نشاطها و نشاط الوطنيين المغاربة الأثر الطيب و الايجابي على وسائل الاعلام التي أجبرت على الاهتمام بطريقة غير مباشرة بنشاط هؤلاء على اعتبار انه كان لزاما عليها تقديم التغطية الاعلامية لهاته المواقف .

ثالثا : النفوذ الكبير و السمعة الطيبة التي كان يتمتع بها أعضاء الجبهة في القاهرة و المشرق على الساحة الثقافية و الاعلامية ، فغير بعيد كان محمد الخضر حسين رئيس الجبهة مدير تحرير مجلة الهداية الاسلامية التابعة لجمعية الهداية الاسلامية ، اضافة الى علاقاته الكثيرة و المتينة مع شخصيات نضالية وإصلاحية مغاربية ومشرقية خلال تواجده في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى كالأمير شكيب أرسلان ، والشيخ عبد العزيز جاويش، ومحمد فريد، والأخوين محمد وعلي باش حامبة، والشيخ صالح الشريف، والشيخ إسماعيل الصفائحي ، وتجاوزت شهرته العالم العربي (59) ، و وصل صيته إلى العديد من الدول الإسلامية. وهذا ما يؤكده العالم الهندي الشيخ أبو الحسن الندوي، الذي حرص على اللقاء به حينما زار القاهرة في عام 1951: " وكنت أعرفه من مقالاته ورسائله العلمية وبحوثه اللغوية من زمان، وأعرفه كعالم راسخ في العلوم الدينية والأدبية " (60).

2– مواطن الضعف و السلب فب جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية :

على الرغم من النشاط السياسي و الثقافي و الاعلامي الطلائعي المذهل و المكثف الذي قامت به جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية على مختلف الأصعدة المحلية و الاقليمية و الدولية وفق الظروف و الإمكانيات المتاحة ، و الذي كان مقبولا إلى حد كبير إلا أن الجبهة وقعت في عدة أخطاء (نقاط ضعف) و واجهت عدة مطبات و عراقيل أضعفت من فاعلية نشاطها إلى حد كبير و يمكن لنا أن نجمل أهم هذه في النقاط التالية :

أ- **تذبذب و تعطل نشاطها** : تميز نشاط جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية منذ نشأتها بكثير من التذبذب و الانقطاع المستمر و غلا كيف نفسر تأخر أول نشاط دعائي و إعلامي لها لأكثر من **12** شهر و نيف حتى أول بلا غ بها بمناسبة مجازر **8** ماي **1945** ، و يعود ذلك حسب تفسيرنا لعديد الأسباب :

- علاقة التأثر و التأثير بينها و بين الحركات الوطنية و الاستعمار في الأقطار المغاربية و الوطن العربي ، و التطورات السياسية الحاصلة على الأقطار المغاربية .

- قلة الموارد المالية لهذا التنظيم حال دون شك في توسيع نشاطها و فعاليته ، و دليل ذلك أن الجبهة لم تتخذ لنفسها مكتبا و مقرا مستقلا لنفسها بعيدا عن جمعية الهداية الإسلامية ، و حتى أنها لم تستطع إصدار جريدة و صحيفة خاصة بها تكون لسان حالها و ناطقة باسمها ، و ما يؤكد ذلك ما جاء في كتاب : جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية لمحمد خضر حسين : " **و اتخذت الجبهة دار جمعية الهداية الإسلامية مقرا لها ، و لم تتخذا لنفسها مكتبا مستقلا في البناء حفاظا على مال الجبهة مع قلته** " [(61)].

ب – **إهمال الجبهة الداخلية و عدم التنويع في النشاط** : لوحظ على نشاط الجبهة النقص الفادح في التنسيق مع الحركات الوطنية المغاربية في الداخل على مستوى النضال و الوسائل و الاستراتيجيات ، و التزامها بنشاط و استراتيجية شاملة لم تراعي خصوصيات كل قطر مغاربي ، حيث الاختلاف النوعي في السياسية الاستعمارية المطبقة في كل قطر ، و اختلاف في وعي الطبقة النضالية كل هذا ضرب نشاطها في الصميم و جعلها بعيدة و غائبة عن عديد المعطيات ، كما أخرجها من الصراع المباشر مع الاستعمار ، و ابتعادها عن التأثير المباشر بالجماهير و الشعوب المغاربية ، و ما يؤكد هذا الطرح ما كتبه علال الفاسي بقوله : " **أن شمولية العمل النضالي بين الأقطار المغاربية لا يخدم خصوصيات كل قطر يقدر ما يخدم المصلحة العامة لهم** " [(62)].

خاتمة : في الأخير يمكن أن نقول أن :

– جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية كانت بمثابة لسان و صوت المغرب العربي في المهجر و خاصة في المشرق من خلال ايصال قضية المغرب العربي التحررية إلى أبعد حد ممكن و حاولت تدويلها ، كما لعبت دور كبيرا في تمتين روابط النضال المغاربي المشترك في فترة الحرب العالمية الثانية و ما بعدها ، حيث شكلت قاعدة نضالية و حدت أطياف الحركة الوطنية الاستقلالية في المغرب العربي .

– لعب التونسيون و الجزائريون الدور الرئيس و الأبرز في نشاط هذه الجبهة ، بدءا من رئيسها محرد الخضر حسين إلى الفضيل الورثلاني .

– كانت تجربة جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية و على الرغم من محدوديتها منطلقا لتجارب نضالية وحدوية أكثر قوة و فعالية بدأ من النضال داخل جامعة الدول العربية بتأسيس مكتب المغرب العربي .

الهوامش :

(1) **علي باش حمبه (1879. 1918)** : يعود نسبه إلى أسرة تركية عريقة، وقد كان من تلامذة الصادقية البارزين، و مناضل تونسي دافع عن الحقوق الوطنية للتونسيين، وقاد حركة الشبان، نفته فرنسا إلى الأستانة، فواصل نضاله لتحرير ووحدة المغرب العربي. ... **ينظر:** الصادق الزمرلي: **أعلام تونسيون**، تق و تع: حمادي الساحمي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986، ص142، 143.

(2) محمد عابد الجابري: **فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال**، ندوة في وحدة المغرب العربي مركز دراسات الوحدة العربية ،**1987**، ص **18**.

(3) **حمدان بن علي الجزائري** : جزائري من أصل عثماني ، هاجر أبوه عمر من الجزائر إلى ونس وقد هاجر بعائلته إلى استانبول بعد عام **1909م** ،كان من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس أثناء تعرضها للأ حتلال الفرنسي ،عام **1881**م، ..... **ينظر** : **احمد توفيق المدني**: حياة كفاح ، ج**1**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ،**1977**، ص **7**.

(4) محمد بلقاسم : **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، 1910. 1954** ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ،**1994** ، ص **38**.

(5) عبد الله مقلاتي: **العلاقات المغاربية الجزائرية إبان الثورة 1954–1962** ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قسنطينة ، **2007–2008** ، ص **19**، **20**.

(6) **ينظر**: محمد ابراهيم الكتاني: **مؤتمرات جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين كانت مهدا لفكرة المغرب العربي**، العلم السياسي، السنة ،1العدد)11ماي 1983)ص**14** . ... **نقلا عن** : عبد الله مقلاتي : **المرجع السابق** ، ص **21**.

(7) **محمد الخضر حسين** : ولد بتونس سنة 1876 م ، أصل أسرته من الجزائر من عائلة العمري بطولقة، من واحات الجنوب الجزائري ، درس في جامع الزيتونة سنة1904 م، أنشأ مجلة السعادة العظمى تولى عدة مناصب منها القضاء كما انشأ عدة جمعيات منها جمعية النسيان المسلمين ،هاجر إلى دمشق ثم إلى مصر سنة1922 م، درس في جامع الأزهر ،أنشأ جمعية الهداية الإسلامية، ترأس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ، واختير سنة 1953 م إماما لمشيخة الأزهر. ...**ينظر** :عبد الوهاب الكيالي : **مرجع سابق** ، ص**232**.

(8) محمد الخضر حسين : **جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية – موسوعة الأعمال الكاملة للا مام محمد الخضر حسين –** ، جمع وضبط: علي الرضا الحسيني ، ط**1** ، مج **9** ، دار النوادر ، سوريا – لبنان – الكويت ، 2010م ، ص**19**.

(9) **نفسه** ، ص**20**.

(10) مجلة الزهراء : الجزء الثالث ، المجلد الأول ، القاهرة ، **15** ربيع الأول **1343** هـ / **1924**م . .... **نقلا عن** : عن موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين ، **مصدر سابق** ، **21**.

(11) عبد الله مقلاتي : **المرجع السابق** ، ص**22**.

(12) محمد بلقاسم : **المرجع السابق** ، ص **213**.

(13) **نفسه** ، ص **213– 214**.

(14) أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية 1830– 1945** ، ط3 ، ج3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، **1983** ، ص**243**.

(15) أبو القاسم سعد الله : **المرجع السابق** ، ص**243**.

(16) الفضيل الورثلاني : **الجزائر الثائرة** ، دار الهدي ، عين مليلة – الجزائر – ، **2009** ، ص**270–271** .

(17) وقع اختلاف في تاريخ ظهور هذا التنظيم فهذا رئيسها محمد الخضر حسين يورد أن الجبهة ظهرت رسميا في شهر ذي الحجة من العام **1363**هـ.

(18) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**270–271** .

(19) محمد بلقاسم و آخرون : **المرجع السابق** ، ص**20**.

(20) بلقاسم بولغيتي : **لجنة تحرير المغرب العربي و اسهامها في وحدة الكفاح المغاربي 1948–1956** ، رسالة ماجستير ، جامعة أدرار ، **2011–2012** ، ص **35**.

(21) علال الفاسي : **الحركات الاستقلالية** ، ص**485**.

(22) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**276**.

(23) **نفسه** ، ص**276**.

(24) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص **22**.

(25) محمد الخضر حسين. **المصدر السابق** ، ص **25**.

(26) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص **269**.

(27) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص **22**.

(28) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**272**.

(29) معمر العايب : **المرجع السابق** ، ص**48**.

(30) عبد الحميد زوزو : **المرجعية التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (المؤسسات و المواثيق)** ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **2010** ، ص**30**.

(31) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**48**.

(32) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص**68**.

(33) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**269–270**.

(34) الرشيد ادريس : **ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة** ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، **1981** ، ص**11–12**.

(35) أبو القاسم محمد كرو : **محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق** ، ط1 ، دار المغرب العربي ، تونس ، **1973** ،ص**36** . و كذلك كتب الفضيل الورثلاني عن قدوم و انضمام الزعمات المغاربية في المهجر بسبب السياسة الاستعمارية مقالا بعنوان : مجاهدون يعودن من الآخرة ، في جريدة الكتلة المصرية بتاريخ 3-3-1946 . **ينظر**: الفضيل الورثلاني : **المصدرالسابق** ، ص **330–331**.

(36) علال الفاسي : **المصدر السابق** ، ص**269**.

(37) الفضيل الورثلاني : **المصدر نفسه** ، ص **376–386**.

(38) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص**60**.

(39) نشرت هذه الرسالة في مجلة الهداية الاسلامية ، ج9 ، مج8 ، القاهرة ، **1365** هـ.

(40) من رسالة الجبهة لهيئة الأمم المتحدة ... **انظر** : محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص**69** . – و الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**289**.

(41) محمد بلقاسم : **المرجع السابق** ، ص**325**.

(42) فوزي مصمودي : **العلاّمة محمد الخضر حسين الجزائري ونضاله التحرّري من خلال (جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية**، محاضرة ضمن فعاليات الملتقى الدولي دور ومساهمة الجزائريين في حركة التحرر العربي خلال القرنين **19** و**20** م ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954** ، الجزائر ، يومي **19** - **20** أفريل **2015**.

(43) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**283–286**.

(44) **نفسه** ، ص **270**.

(45) يوسف الرويسي : **كتابات و مذكرات المناضل يسف الرويسي السياسية** ، تقديم : عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي ، تونس ، **1995** ، ص**139**.

(46) الفضيل الورثلاني : **المصدر السابق** ، ص**273**.

(47) **نفسه** ، **295–296**.

(48) علي رضا الحسيني، **المرجع السابق**، ص**11**.

(49) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص**66،67**.

(50) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، **ص69**.

(51) أمحمد بن عبود : **مكتب المغرب العربي في القاهرة – دراسات و وثائق–** ، منشورات عكاظ ، الرباط ، **1992** ، ص **11**.

(52) ونشير هنا إلى سرعة تجاوب أكبر الحركات مع اللجنة، وهي حركة الإخوان المسلمين. فقد أصدرت مجلة "النذير" الإخوانية، عدداً خاصاً للتعريف بالجبهة وأعضائها، وشرح مقاصدها. وقامت رفقة جريدة "الإخوان المسلمون"، بمتابعة نشاطها ، والدعاية لها، من خلال كتابات قادتها، وأنصارها، ونشر بياناتها، وجاء في المنشور الأول الذي نشرته "النذير"، أن الجبهة تسعى "بالطرق المشروعة لتحقيق حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا وضمها إلى جامعة الدول العربية ... **ينظر** :

مولود عويمر: **الإمام حسن البنا وحركات التحرر المغاربية**، المجتمع ، العدد : **1490**، **23** فبراير **2002**، ص **43**.

(53) أبو القاسم سعد الله : **المرجع السابق** ، ص**15**.

(54) من خلال برقية ارسلت لوزراء خارجية هذه الدول ، و نشرت في مجلة الهداية الاسلامية ، ج**1** ، مج**18** ، القاهرة ، رجب **1364**هـ.... **ينظر** : محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص**35**.

(55) محمد الخضر حسين : المصدر السابق ، ص**35**.

(56) محمد الخضر حسين : المصدر نفسه ، ص**72**.

(57) نشرت الرسالة في مجلة الهداية الاسلامية ج**6** ، ج**5** من مج **19** ، القاهرة ، ذي القعدة و ذي الحجة ،**1365**هـ ، **ينظر** : محمد الخضر حسين : **المصدر نفسه** ، ص **71–73**.

(58) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص **72**.

(59) مولود عويمر : **في مسار التواصل بين المشرق والمغرب** ، مقال منشور على النت .... **أنظر** : **http://www.odabasham.net**

(60) أبو الحسن الندوي: **مذكرات سائح في الشرق العربي**، دمشق، دار ابن كثير، **2001**، ص **103**.

(61) محمد الخضر حسين : **المصدر السابق** ، ص **25**.

(62) علال الفاسي : **المصدر السابق** ، ص**245**.